فَـوَا أسـفـا! كـيـفَ اشْـتَـفـى قَـلْـبُ خـالـدٍ
بـتـاجِ بَـنـي عَـبْـس كِـرَامِ الـعـشَـائـرِ[١]
وَكَـيْـفَ أنـامُ الـلّـيْـلَ مـن دونِ ثـأرِهِ
وَقَد كان ذُخرِي في الخُطوبِ الكبائرِ[٢]؟

هم الأحبّة

قال في كبره:

[البسيط]

ذَنْـبـي لِـعَـبْـلَـةَ ذَنْـبٌ غـيـرُ مُـغْـتَـفـرِ
لـمّـا تَـبَـلّـجَ صُـبـحُ الـشّـيـبِ فـي شَـعَـرِي[٣]
رَمَـتْ عُـبَـيْـلَـةُ قَـلْـبـي مـن لـوَاحـظِـهـا
بـكُـلّ سـهـمٍ غـرِيـقِ الـنَّـزْعِ فـي الـحَـوَرِ[٤]
فـاعْـجـب لـهُـنّ سـهَـامـاً غـيـرَ طـائِـشَـةٍ
مـن الـجُـفُـونِ بـلا قَـوْسٍ وَلا وَتَـرِ[٥]

(١)، (٢) يأسف الشاعر على ما آل إليه حال خالد من خلع تاج الملك عنه في بني عبس، أكرم قبائل العرب وما حلّ به من موت. ويسأل نفسه كيف يستطيع النوم، ولم يأخذ بثأره؟ فلم يكن إنساناً عادياً، فقد كان مرجعه في الملمات العظام يفيء إليه ليساعده إذا ألمّت به مكروهة.

(٣) تبلج: أشرق. إن عبلة لن تغفر للشاعر، فقد آذنت الرحلة على الغروب، وبدأ الشيب يغزو رأسه، ومن طبع النسوة الفرار من الشيخوخة والميل إلى الشباب والحيوية.

(٤)، (٥) النزع للسهم من موقعه: اقتلاعه. الحور: شدّة سواد العين وشدّة =

كَمْ قد حَفِظت ذمامَ القوْمِ من وَلَهٍ
يَعْتادني لبَناتِ الدَّلّ وَالخَفَرِ[١]
مُهَفْهَفاتٍ يَغارُ الغُصْنُ حينَ يرَى
قُدودَها بَينَ مَيّادٍ وَمُنْهَصرِ[٢]
يا مَنْزِلاً! أدْمعي تَجْري عَليهِ إذا
ضَنّ السّحابُ عَلى الأطْلالِ بالمطرِ[٣]
أرْضُ الشَّرَبّةِ كم قَضّيتُ مُبتهجاً
فيها معَ الغِيدِ وَالأتْرَابِ من وَطَرِ[٤]
أيّامَ غُصْنُ شبابي في نُعُومتِهِ،
ألهُو بمَا فيهِ من زَهْرٍ وَمن ثَمَرِ[٥]

= بياضها. نظرات عبلة نظرات قتّالة تدمي القلب، ثمّة سهم من سهامها صوّبته إلى مقاتل الشاعر من عينيها الحوراوين فأوقعته في شباكها. إنها سهام لا تطيش من جفون لا يعوزها لا قوس ولا وتر.

(١)، (٢) الوله: شدّة التعلق. الخفر: الحياء. لطالما عمل الشاعر على الحفاظ على ودّه بحبّ شديد اعتاد عليه لمن صناعته الدلال والحياء من بنات حوّاء ممّن خصورهن ضامرة دقيقة يُثرن حتى غيرة الغصون المائلة برقّة قدودهن الميّاسة المتثنية.

(٣) ضنّ: بخل. يخاطب الشاعر منزلاً بأن دموعه تغذيه وتمدّه بالماء إذا بخلت الغيوم بالغيث فلم تشمل تلك الأطلال بالرواء.

(٤)، (٥) الشربّة: اسم موضع. الوطر: الحاجة. إن تلك الربوع في أرض الشربَّة عرفت أيام فرحته وسروره مع الغيد الحسان الأتراب، ولطالما قضى منهن وطراً أيام كان الشباب ملء إهابه، غضاً طرياً؛ إنه زمن اللهو يجتني فيه ما لذّ له وطاب.

فـي كُـلّ يَـوْمٍ لَـنـا مـن نَـشْـرِهـا سَـحَـراً
رِيحٌ شَـذاهـا كَـنَـشْـرِ الـزّهـرِ فـي الـسَّـحَـرِ (١)
وَكُـلّ غـصْـنٍ قَـويـم رَاقَ مَـنْـظَـرُهُ
مـا حَـظُّ عـاشـقـهـا مـنـهُ سِـوَى الـنَّـظَـرِ (٢)
أخـشـى عَـلـيَـهـا وَلـوْلا ذاكَ مـا وَقَـفَـتْ
رَكـائـبـي بَـيـنَ وِرْدِ الـعَـزْمِ وَالـصَّـدَرِ (٣)
كَـلّا وَلا كُـنْـتُ بـعـدَ الـقـرْبِ مُـقـتـنـعـاً
مـنـهـا عـلـى طُـولِ بُـعْـدِ الـدارِ بـالـخـبـرِ (٤)
هُـمُ الأحِـبّـةُ إن خـانُـوا وَإن نَـقَـضُـوا
عـهـدي فـمـا حُـلـتُ عـن وَجـدي ولا فِكَـرِي (٥)
أشـكُـو مِـنَ الـهَـجْـرِ فـي سـرٍّ وَفـي عـلـنٍ
شـكْـوَى تُـؤثّـرُ فـي صَـلْـدٍ مِـنَ الـحَـجـرِ (٦)

---

(١)، (٢) النشر: الطيب السابح مع الرياح. الشذا: الريح الزكي. تتوالى الأيام بعبير الفرح مع إشراقة الشمس وتفتح الزهور وعبيرها، فإذا بالسحر يسحر العيون والأنوف بما يتفتّق من الرياحين، رسمتها يد القدرة بأبدع الألوان، فإذا بعشاق الطبيعة يسرّحون أنظارهم بجمال تلك الصورة.

(٣)، (٤) إن الشاعر يخاف من تبدّل تلك الديار وتغيّر معالمها، لذا وقف متأملاً حالها بعد طول غياب، وقد عاد يودّ النزول في جنباتها مستعيداً ذكريات جميلة. ولقد تبدلت حالها وما عادت كما اعتاد على رؤيتها.

(٥) إنهم الأحبّة مهما فعلوا من تبدل أحوالهم؛ ولقد خانوا ونقضوا العهود، أما الشاعر فإنه لا يزال يحفظ الودّ ويرعى العهد، وهم لا يزالون يستحوذون على وجدانه وكيانه.

(٦) إنه يشكو حاله في كلّ حال؛ فإذا ما صادق قوماً أخبرهم بما يعانيه، ولم =